الفصل الخامس

أبعاد أهمية بحث المقاصد

ومفسدات فاعليتها

obeikandl.com

obeikandl.com

النقطة الأولى: أبعاد أهمية بحث المقاصد

بيّن من عنوان المقاصد أنّها تمثّل سيرا هادفا شاملا ومتكاملا، تعد مقاصدها الكبرى عمد الرسالة التي جاء بها العمل القاصد، وتمثّل تلك المقاصد في تفريعاتها العامة عملا شاملا يستغرق كل الميادين والمجالات التي تتوجّه إليها تلك الرسالة، كما أنّ تلك المقاصد الكلية وفروعها متكاملة تسعى إلى تحقيق مقصد كلي واحد، بحيث لا تنافر في أصولها وفروعها.

يستشف من الفرشة الآنفة الذكر أهمية المقاصد بالنسبة للإنسان (أصل المتوجّه إليه بهذه الرسالة)، وما دامت رسائل النور مستمدة من هدي القرآن، فإنّها اكتسبت منه ميزات الغائية والشمول والتكامل، فسيرها قاصد، ومسعاها شامل مستعد لتلبية حاجات الإنسان وفق استعداداته، كما أنّ ذلك المسعى متميّز بالتكامل بحيث ينتفي التنافر بين مضامين الخطاب من جهة ومختلف حاجات الإنسان من جهة أخرى.

نؤكّد في مستهل الحديث أنّ للمقاصد أهمية عظيمة بالنسبة للإنسان فتشمل مجموع أبعاده، يتجلى فيها الاهتمام بالأبعاد الإيمانية والنفسية والاجتماعية والمعرفية والمنهجية، و...كما يظهر في مضمونها عنصر التكامل الذي يستغرق جميع ميادين استعدادات الإنسان وحاجاته.

أولا: الأهمية الإيمانية [1]

رسائل النور في أصل وضعها رسالة إيمانية، بحيث يمثّل الإيمان مقصدا مركزيا بالنسبة إليها.

مبنى فاعلية المقاصد وحضورها في وعي المجتمع والأفراد الإيمان القطعي اليقيني بمصدر تلك المقاصد، وخاصة الكتاب الكريم المحفوظ بينهم، وللقطع بذلك بعد إيماني ظاهر، يسهم بل ويؤسس للخلفية الفكرية (العقيدية) لمجموع تصرّفات المسلّم بها، فقد كان ذلك الكتاب المحفوظ وما يزال المعلّم الأستاذ الذي شاهدناه وسمعنا خطابه، إذ لولاه لذهبت تلك المقاصد هباء منثوراً، كالكتاب المبهم الذي لا يُفهم معناه، ولا يبيّنه أستاذ، فيظل مجرد أوراق لا معنى لها!..[2]

ومردّ الفعالية يتجاوز مجرّد الإيمان "القطعي" – وفق ما شاع تداوله اجتماعيا، كأنّه تصريح قولي بحت لا أثر له على التصرّفات، كلمة صرف – الذي لا صلة له بتصرفات المؤمنين،ويفرض تجاوز هذا النمط من الإيمان، التأسيس للعمل بمقتضى المقاصد وأبعادها الإيمانية وفق امتداداتها المطلوبة في ميدان الفعل البشري، بحيث تستغرق جميع ميادين الفعل.

يوضّح طريق العروج للآخرة

تحدد المقاصد الأصلية مسالك الترقي في سلّم المعارف النورانية، وترسم خطط نيلها وسبل الترقي فيها، فهي مجليّة طريق العروج إلى الآخرة، ومن ثمّ وجب أن تكون محلّ عناية تحقيقا لتبليغها أو حماية وجودها في القلوب

---

١. سنعرض بالتفصيل البعد الإيماني في الباب الثاني من الدراسة

٢. الكلمات ١٣٢

والعقول، مع عناية بمضامينها الاجتماعية، ولا يتوقّف تأثيرها عند حد الكشف عن المضمون وطرق التعلّق به، بل يتعدّاه إلى إيجاد محفّزات داخلية للتعلّق به وسبل مزاولته.

يقول بديع الزمان: "ففي الوقت الذي ينبغي أن يكون هذا (السعيد) المسعود موضع فخر واعتزاز بما بيّن للبشرية بنور القرآن المبين طريق العروج إلى أعلى مراتب المعرفة الإلهية، برسائل النور، قام أهل الشقاء بنقيض ذلك فتجرأوا على تسميمه مرات ومرات. وربما كان ذلك من مقتضيات الحكمة الإلهية حيث تنزل المصائب والبلايا على ورثة الأنبياء والصالحين كما هو ثابت في الحديث الشريف (أشدّ الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل)، حتى رماه الصبيان بالحجارة حينما خرج من بيته يوما في قسطموني قاصدا التوضؤ من النبع، ولكنّه تحمّل وتجمّل بالصبر، ولم يحمل في صدره غير السلامة وفي قلبه غير الطهر لأولئك الصبيان، فلم يغضب ولم يحقد عليهم بل دعا لهم بالخير وقال: لقد أصبح هؤلاء سببا لكشفي سرا من أسرار آية جليلة في سورة "يس". ثم أصبح أولئك الصبيان بفضل الله وبركة الدعاء لهم، بعد ذلك يهرولون إلى الأستاذ أينما رأوه ويقبلون يده ويرجون منه الدعاء."[1]

ثانيا: الأهمية النفسية [2]

يمثّل العمل بالمقصد دافعا نفسيا قويا للاستزادة مما يجلب رضا الرحمن، ذلك أنّ "التعريف بحسب الغاية أولى، إذ العلم بالغاية يزيد شوق المحصّل، فبالتعلّق بعلم المنطق وهو من علوم الآلة متوقّف على تعريفه بحسب الغاية[3] وهو

١. سيرة ذاتية ٤

٢. سنعرض بالتفصيل مختلف الأبعاد في كتابنا عن قراءة في وظائف مقاصد رسائل النور.

٣. انظر صيقل الإسلام ٢٤٣

بدوره متوقّف على معرفة وجه كونه آلة،وهذا متوقّف على الحاجة إليه،فجهة الحاجة تدفع إلى تحصيله،أي أنّ تعلّق الناس بعلم من علوم الآلة مترتّب على معرفة وجه آليته ووجه الحاجة غليه؛ فالجواب عن المقصد من تلك الآلة يحبّبنا في الآلة نفسها،لهذا كان اكتشاف المقصد دافعا نفسيا لتحصيل ما ينال به المقصد نفسه.

ومادامت الحاجة إلى الغاية ماسة لتعلّقها بكل مجالات حياة الإنسان المادية والمعنوية، كان العلم بالمقاصد الكلية النبيلة حافزا نفسيا قويّا لدفع العامل بها على الاستزادة من الخير ودفع الشر، كما أنّ الارتباط بالمقاصد التافهة يأسر المتعلّق بها، فيقع من جرّاء التعلّق بها على أم رأسه، فيتحوّل من رجل عزيز مكرّم إلى ذليل حقير، يشهد لهذا المعنى تحذير بديع الزمان الإنسان من جعل الحياة الدنيا غاية المقصد، فتفرغ في سبيلها الجهد، إنّك إن فعلت ذلك ورضيت به، فسوف تكون في حكم أصغر عصفور.[1]

لهذا كانت أهمية المقاصد الجليلة النبيلة عظيمة في شحذ الهمم، كما أنّ التعلّق بالمقاصد التافهة يدمّر قوى الدفاع الذاتي، فيجعل النفس مهيّئة لقبول الاستخفاف والنذالة الفكرية والنفسية والاجتماعية.

يعود ما ناله المسلمون عربا وعجما من سعادة دنيوية إلى تسليمهم النفسي لأمر الله تعالى والرضا بقضائه وقدره، فقد كانوا يرون الحكمة في المقاصد الكلية، ويتلقّون دروس العبرة من الحوادث بدلاً من الرهبة والهلع منها.[2]

ومن شواهد أهمية المقاصد النبيلة – في رؤيتها الكلية المتكاملة الشاملة – في التأسيس للبعد النفسي لمقاصد رسائل النور، قول النورسي: "رأيت عدداً من

---

١. الكلمات ٢٠

٢. صيقل الإسلام ٥١٩

الأشخاص – من أهل التقوى – يرغبون في الدين ويحبّون أن يقيموا أوامره كي يوفّقوا في حياتهم الدنيوية ويفلحوا في أعمالهم.حتى أنّ منهم من يطلب الطريقة الصوفية لأجل ما فيها من كرامات وكشفيات. بمعنى أنّه يجعل رغبته في الآخرة وثمارها تكئة ومرتبة سلم للوصول إلى أمور دنيوية، ولا يعلم هذا أنّ الحقائق الدينية التي هي أساس السعادة الدنيوية كما هي أساس السعادة الأخروية، لا تكون فوائدها الدنيوية إلاّ مرجحة ومشوقة، فلو ارتقت تلك الفائدة إلى مرتبة العلة لعمل البر، فإنها تبطله، وفي الأقل يفسد إخلاصه، ويذهب ثوابه.وقد ثبت بالتجربة أنّ أفضل منقذ من ظلم هذا العصر المريض الغادر المشئوم ومن ظلماته الدامسة، هو النور الذي تشعه رسائل النور بموازينها الدقيقة وموازناتها السديدة. يشهد على صدق هذا أربعون ألف شاهد."[1] ولا شكّ أنّ مردّ الاهتمام بالغاية النبيلة أو المقصد العظيم، يرجع في أصل فاعليته إلى البعد النفسي سواء أصاب الهدف أو أخطأه، كحالتنا المبيّنة في السابق، إذ المقصد النبيل يفرض أن يكون الهدف موافقا له، فالهدف في هذا المثال قد يؤثّر على أصل المقصد نفسه، من هنا وجب التنبيه إلى الصلة الوثيقة بين الأهداف النبيلة والمقاصد الكليّة، وأهمية البعد النفسي إقبالا وإدبارا ظاهر جلي.

ومن مظاهر البعد النفسي في درس مقاصد رسائل النور أنّ العمل بالمقاصد يدفع إلى التضحية، إذ يوجد العلم بها المؤسس للعمل بمقتضاها قوّة معنوية تساعد محصّلها على تحمّل التضحية، ودفع أشدّ الظلم النمرودي من أعداء الوطن والدين المستترين، ليس هذا فحسب، بل يجاوزه إلى تكييف تصرّفاته الغضبية ويضبطها بمقصد كلّي قوامه طلب رضا الله، فلا يواجه القوّة المادية بالردّ المادي التخريبي، مستمدا تلك القوّة المعنوية من القرآن الحكيم الذي علّمه

---

١. سيرة ذاتية ٣٠٩

تلك المعاني السامية، لأجل ألاّ يتضرّر تسعون بريئاً بسبب زنادقة ملحدين نسبتهم عشرة في المائة، ومن أجل المحافظة على الأمن والنظام في الداخل بقوته كلها، ومن أجل نصب حارس في قلب كل إنسان بدروس النور. ولولا ذلك، لانتقم الأستاذ النورسي-كما صرّح به - في يوم واحد من أعدائه الذين ظلموه مدة ثمان وعشرين سنة. فتراه لا يدافع ضد من يهين عزته وكرامته حفاظاً على الأمن من أجل الأبرياء، ويقول: أنا مستعد للتضحية بحياتي الدنيوية من أجل ملة الإسلام، بل حتى بحياتي الأخروية إن لزم الأمر.[1]

كما أنّ استحضار المقاصد في النظر إلى النفس والمجتمع يزيد الإنسان تضحية وبذلا وعطاء، فيطرد النظر التفكير في العزلة والانزواء، ذلك أنّه إذا ما فكّر كلُ واحد بأن ينزوي في زاوية مظلمة ليأمن خداع النفس الأمارة بالسوء - تلك العدوة الكبرى - ويأمن مكر شياطين الجن والإنس، وانسحب إلى زاوية النسيان أو أراد أن ينسحب إليها، وأهمل ما حلّ بالعالم الإسلامي والإنساني حتى لم يعد ينفع أحدٌ أحداً، فالمطلوب أن نقوم بتبليغ إخواننا في الدين هذه الحقائق، لعل الله يعاملنا بفضله وكرمه بما يوافق جلال ألوهيته سبحانه. ولهذا من المفيد جداً صرف النظر عن أنفسنا في تلك الأزمنة.[2]

تلك المقاصد التي تقرر في الإنسان بعدا نفسيا ظاهرا، يحسّسه بحقائق الفقر والعجز والحاجة إلى الحكيم الخبير الخالق الرازق، إنّ ما يوفقكم الله إليه بالعجز والفقر للوقوف بباب قصر القرآن العظيم والأخذ من خزينته الخاصة مما لا عين رأت ولا أذن سمعت، فتستخرجون ما تشاهدونه - وما يؤذن لكم منها - من جواهر، الواحدة تلو الأخرى. وتتدبّرون فيها أنتم أولاً ثم تقولون:أيّها الناس!

---

١. سيرة ذاتية ٤٦٣

٢. الملاحق ٢٠

انظروا إلى المولى الكريم الذي فتح لكم أبواب مضيفه وخلق العوالم برحمته العميمة وبرأكم بحكمته وأرسلكم إلى هذا العالم.. ذلكم رب العالمين.. الذي بيّن لكم الحكمة في الخلق والقصد من مجيئكم إلى هنا، والمهمة التي كُلفتم بها، وكلّ ما تقتضيه العبودية من وظائف وخدمات.. وأمثالها من الأمور التي بيّنها قبل ألف وثلاثمائة سنة بوساطة رسوله الكريم ﷺ

بلّغ الأستاذ تلك الأوامر الرفيعة وتلك الأحكام المقدّسة، وحثّ على التلاميذ على تبليغها بلسانهم بحيث يقدرون على فهمها، فإن بلّغوا ذلك بإخلاص فسينفعون ذوي العقول والصواب وذوي البصائر والقلب، والمتمتّعون بالإنسانية،و ييسّرون لهم فهم الحقيقة ويردونهم إلى حظيرة الإيمان.[1]

ثالثا: التشجيع على العمل والبذل المستمر

تحفّز المقاصد مدركها عقلا وقلبا على البذل المستمر بالاستعداد للرحلة المقررة، الرحلة إلى الآخرة، ذلك أنّ الحكمة في إبهام أجَل الشخص وموته "لينتظره دائماً فيستعدّ لآخرته" – الحكمة في إبهام الساعة – التي هي موتُ الدنيا لينتظرها أبناء الدنيا[2]، لهذا كان في خفاء الأجل مقصدا عظيما يبقي جذوة التعلّق بالخلاص متّقدة مهيمنة على كيان الإنسان، فتدفعه نفسيا للاستعداد السنني لنيل رضا الرحمن.

١) إيجاد دافع التضحية

كان النورسي مندفعا إلى التضحية في مباشرة التعامل مع الدنيا ومشاكلها في كنف نظرة تهيمن عليها العناية بالمقاصد السامية، فقد كان حينما اشتد

---

١. الملاحق ٣٢

٢. انظر المثنوي العربي ٤٤٥

خناق الأمراض وألوان الغربة وأنواع الظلم عليه، ووجد أن علاقاته تنفصم مع الدنيا لاح بين ناظريه أنّ الإيمان يرشده بأنّه مرشح لدنيا أخرى أبدية، وأنّه مؤهل لمملكة باقية وسعادة دائمة. ففي هذه الأثناء ترك كل شيء تقطر منه الحسرة ويجعله يتأوه ويتأفف، وأبدله بكل ما يبشّر بالخير والفرح ويجعله في حمدٍ دائم. ولكن أنّى لهذه الغاية أن تتحقق وهي غاية المنى ومبتغى الخيال وهدف الروح ونتيجة الفطرة، إلاّ بقدرة غير محدودة للقدير المطلق، يعرف جميع حركات مخلوقاته وسكناتهم قولاً وفعلاً، بل يعرف جميع أحوالهم وأعمالهم ويسجلها كذلك. وأنّى لها أن تحصل إلاّ بعنايته الفائقة غير المحدودة لهذا الإنسان الصغير الهزيل المتقلب في العجز المطلق، حتى كرّمه واتخذه خليلاً مخاطباً، واهباً له المقام السامي بين مخلوقاته.[1]

لقد وضعت الحكمة الإلهية ميلا وشوقا في الإنسان لإدامة النسل. ووضع أجرة لأداء تلك الوظيفة الفطرية، وهي اللذة. فالرجل ربما يتحمل مشاق ساعة لأجل تلك اللذة التي تدوم عشر دقائق – إن كانت مشروعة – بينما المرأة، تحمل في بطنها الطفل حوالي عشرة أشهر، مقابل تلك المتعة التي تدوم عشر دقائق، فضلا عما تتحمل من مشقات طوال عشر سنوات من أجل طفلها. بمعنى أن تلك اللذة التي تدوم عشر دقائق تزيل أهمية ذلك الميل الفطري، حيث تسوق إلى هذه المصاعب الكثيرة والمتاعب المستمرة.[2]

٢) تحمّل تبعات السير في مسلك الإيمان

يسعف المرء بقوّة داخلية تدفعه إلى التحمّل باكتشاف جزء من حكمة الله في خلق الإنسان التي هي نقطة من بحر المقاصد، إذ أنّ كل إنسان في كلّ زمان

---

١. الشعاعات ٧٥

٢. الملاحق ٣٤١

ومكان، له نصيبه من المصائب الجارية إما قلباً أو روحاً أو عقلاً أو بدناً، ويعاني من العذاب والرهق ما يعاني، ولاسيّما أهل الضلالة والغافلين حيث إنّهم غافلون عن الرحمة الإلهية الشاملة والحكمة السبحانية الكاملة، فمن حيث إنسانيتهم وعلاقتهم بالبشرية يتعذّبون بالآلام الرهيبة المفجعة التي تعانيها البشرية في الوقت الحاضر، فضلاً عن آلامهم أنفسهم، ذلك لأنّهم قد تركوا وظائفهم الحقيقية وأمورهم الضرورية وأعاروا سمعهم بلهفة إلى مالا يعنيهم من صراعات سياسية وشؤون آفاقية، وحوادث خارجة عن طوقهم، ويتدخّلون فيها حتى جعلوا أرواحهم حائرة وعقولهم ثرثارة، وسلبوا من أنفسهم الإشفاق والرثاء عليهم، حسب قاعدة "الراضي بالضرر لا ينظر له" أي من يرضى لنفسه الضرر لا يستحق النظر إليه برحمة. فلا يُرثى لهم ولا يُشفق عليهم، فهم الذين قد سببوا نزول البلاء بهم.[1]

النظر في الكون والحياة في إطار المقاصد الشرعية يسهم في الكشف عن الحكمة الإلهية الجزئية المتجلية في عالم الأشخاص والأشياء، فترى تلك الحقائق في كل حادثة وفي كل شيء، لمشاهدة الأمور بمنظار نور دروس الإيمان التحقيقي المتلقى من رسائل النور. وبذلك يشاهد في كل شيء كمال الحكمة الإلهية، وجمال عدالتها، ويستعينون بها على مجابهة المصائب – التي هي من إجراءات الربوبية الإلهية بالبشر – بالتسليم التام لأمر الله فيبدي الرضا به، ولا يقدّم شفقته على الرحمة الإلهية كي يقاسي العذاب والألم.[2]

تخرج تلك النظرة الإنسان من الغفلة عن سلطان الكون ومنظّمه، وبهذا يتحرر من عقلية الشاكي القائل بأن ماهية العالم المنظمة بدستور الحكمة الأزلية غير

---

١. انظر الملاحق ٣٤١

٢. انظر الملاحق ١٥٣

مستعدة لإنجاز الأمر الذي يطلبه، والشيء الذي يبغيه، والحالة التي يشتهيها، ولا يسمح به قانون الفلك المنقش بيد العناية الأزلية، ولا توافقه طبيعة الزمان المطبوعة بمطبعة المشيئة الأزلية، ولا تأذن له الحكمة الإلهية المؤسّسة للمصالح العامة.. لذا لا يقطف عالَمُ الممكنات من يد القدرة الإلهية تلك الثمرات التي نطلبها بهندسة عقولنا وتَشَهّي هوانا وميولنا. وحتى لو أعطتها لَماَ تمكن من قبضها والاحتفاظ بها، ولو سقطتْ لَمَا تمكّن من حملها. نعم لا يمكن أن تسكن دائرة عظيمة عن حركاتها المهمة لأجل هوى شخصي...[1]، فالإفادة من المقاصد يفرض الانسجام معها في سيرها الجزئي والكلي. ويسهم هذا الانسجام في خدمة الحياة الاجتماعية البشرية، ويعين الأخلاق والمثل الإنسانية، ويمهّد السبل للرقي الصناعي، ذلك أنّها في وفاق ومصالحة مع القرآن الكريم، بل هو خادم لحكمة القرآن، ولا يعارضها، ولا يسعه ذلك.[2]وسيفضي الأمر إلى التعلّق بالمعالي والمقاصد الكلية والغايات الرفيعة، فيبتعد المنشغل بالمقاصد الشريفة عن تنسيق الكلمات وتنظيم الألفاظ، ويجعل شغله الشاغل إحياء الحس الديني والشعور الإيماني ومفهوم الفضائل والأخلاق أمنيته ومبتغاه بترسيخها في الأرواح والوجدان والأفكار لتنتقل عبر العصور والدهور للأجيال القادمة.[3]

يؤسس النظر في الغايات لقبول التنوّع كظاهرة إسلامية إنسانية، إذ لا يفسد التنوّع للود قضية، ذلك أنّ تصادم الآراء ومناقشة الأفكار لأجل الحق وفي سبيل الوصول إلى الحقيقة إنما يكون عند اختلاف الوسائل مع الاتفاق في الأسس والغايات، فهذا النوع من الاختلاف يستطيع أن يقدم خدمة جليلة في الكشف عن الحقيقة وإظهار كل زاوية من زواياها بأجلى صور الوضوح.

---

١. انظر الملاحق ٢٠٦

٢. انظر الملاحق ٢٨٦

٣. انظر سيرة ذاتية ٣٢

ولكن إن كانت المناقشة والبحث عن الحقيقة لأجل أغراض شخصية وللتسلط والاستعلاء وإشباع شهوات نفوس فرعونية ونيل الشهرة وحب الظهور، فلا تتلمع بارقة الحقيقة في هذا النوع من بسط الأفكار.[1]

النظرة الكلية الشاملة تبيّن مركزية الإنسان في الكون، ويشهد لهذا المعنى أنّ موجودات العالم قد صُممت بطراز يشبه دائرة عظيمة، وخُلقت الحياة لتمثّل نقطة المركز فيها، ثم نرى أن موجودات عوالم ذوي الحياة هي الأخرى قد أوجدت على شكل دائرة واسعة بحيث يتبوّأ الإنسان فيها مركزها، فالغايات المرجّوة من الأحياء عادة تتمركز في هذا الإنسان. والخالق الكريم سبحانه يحشّد جميع الأحياء حول الإنسان ويسخّر الجميع لأجله وفي خدمته، جاعلاً من هذا الإنسان سيداً عليها وحاكماً لها. فالخالق العظيم إذن لم يكتف باصطفاء الإنسان من بين الأحياء فقط،بل يجعله موضع إرادته ونصبَ اختياره.[2]

رؤية الكون في سياق نظرة مقصدية يسهم في تثبيت فكرة العدالة الكونية في النفس، يمكّن لمظاهرها العظيمة في الجوانب المادية والمعنوية من العقل والقلب.

يضرب الأستاذ أروع الأمثلة لتحقيق ذلك الهدف، فيذكر بأسلوب تربوي لافت للانتباه؛ فيقول: انظر أيها الإنسان المعاند إلى ما أظهره السلطان من معجزات متنوعة في سائر الأماكن، فما رأيته هنا في المعرض، أوفي الميدان، أوفي القصر، من الأمور العجيبة له نماذج في كل مكان، إلاّ أنه يختلف من حيث الشكل والتركيب، أيها المعاند، أنعم النظر في هذا، لترى مدى ظهور انتظام الحكمة، ومبلغ وضوح إشارات العناية، ومقدار بروز أمارات العدالة، ودرجة

---

١. انظر المكتوبات ٣٤٧

٢. انظر المكتوبات ٤٧٠

ظهور ثمرات الرحمة الواسعة، في تلك القصور المتبدّلة، وفي تلك الميادين الفانية، وفي تلك المعارض الزائلة. فَمَن لم يفقد بصيرته يفهم يقيناً أنه لن تكون – بل لا يمكن تصور – حكمة أكملَ من حكمة ذلك السلطان ولا عناية أجملَ من عنايته، ولا رحمة أشمل من رحمته، ولا عدالة أجلّ من عدالته.... إنكار ذلك حماقة فاضحة، كحماقة من يرى ضوء الشمس وينكر الشمس نفسَها في رابعة النهار! ويلزم أيضاً القول بأن القائم بما نراه من إجراءات تتسم بالحكمة وأفعالٍ ذات غايات كريمة وحسنات ملؤها الرحمة إنما يلهو ويعبث ويغدر – حاشاه ثم حاشاه – وما هذا إلا قلب الحقائق إلى أضدادها، وهو المحال باتفاق جميع ذوي العقول غير السوفسطائي الأبله الذي يُنكِر وجودَ الأشياء، حتى وجودَ نفسه.[1]

رابعا: دفع الغفلة العامة

يندفع الإنسان إلى العمل بمقتضى القناعات المستفادة من المقاصد الشرعية، تلك القناعات المرتبطة بحكم لا حصر لها تحقق مجموعة لا حدّ لها من النتائج الإيجابية على تصرّف الإنسان، كالاستفادة منها في دفع الغفلة، فالحكمة المترتّبة عن المقاصد تدفع الغفلة العامة بتحقيق المراد من المقاصد نفسها في تصرّفات الإنسان، ولا ينال الإنسان المراد إلا إذا اكتشف طوره باكتشاف صلته بخالقه، وقبل ذلك معرفة خالقه الذي "لا يُسأل عما يفعلْ". فلا حقّ لشيء ولا لعلمٍ ولحكمةٍ أن يَسأل عنه، إذ يتصرّف في مُلكه كيف يشاء وهو عليم حكيم. يعلم ما لا نعلم. فعدم علمنا بحكمةِ شيء لا يدلّ على عدمها. إذ شهود الحكمة في الأكثر المطلق شاهدٌ على وجود حكمة مستورة عنا هنا أيضاً.[2] فوازن مثلا

---

١. انظر الكلمات ٥٧

٢. انظر المثنوي العربي ٤٤٦، ٤٥٠

بين الأهلية والوحشية كَيْ تــرى بعض حكمها ظاهــرةً باهــرةً.[1]

لاحظ جيّدا حرصه على التنبيه العقلي والقلبي في قالب تذكير واحــد، ولا شكّ أنّ الغرض الرئيس من التنبيه تحصيل دفع الغفلة وتأسيسا للحضور الباطني والظاهري للحقائق الإيمانية، وما يترتّب عليها من دفع الغفلة بجميع أبعادهــا وأنواعها (الفكرية والتربوية والاجتماعية...)

خامسا: أهميته في صناعة الوعي

تسهم معرفة المقاصد في صناعة وعي الإنسان بالكون ووظيفته إضــافة إلى وظيفة الإنسان، نظره في الآفاق (الكون) والأنفس (الإنسان)، وفق المقاصــد التي حدّدها له خالقه، فيكون المقصد في المسير شاحذا للهمم ومنشّطا للعزائم، فيكتشف الإنسان قيمته بنسبة ماهيته.. وماهيته بدرجة همته.. وهمته بمقــدار أهمية المقصد الذي يشتغل به.[2] وبقدر علو المقصد تتعالى همّة الإنسان وتكــبر وظيفته، إنّ الذي تسكن كيانه المقاصد السامية تصيّره بكرم الله ومنّــه مــرآة عاكسة للإسلام وحامي ثماره. ومثالاً مشخّصاً للأمة الإسلامية، إذ الهمّة تتعالى بعلو المقصد، والأخلاق تتسامى وتتكامل بغليان الحميّة الإســلامية.[3] الــتي تصنعها المقاصد السامية في قلوب الملتزمين بمقتضياتها. وتنتهي بهم إلى مواقــف اجتماعية تؤكّد التزامهم تجاه أمّتهم والأسرة الإنسانية. ذلك أنّ حياتهم الــتي تتوجه إلى مثل هذه الغايات المثلى، وهي الجامعة لمثل هذه الخزائن القيّمــة.. لا يليق عقلاً وإنصافاً أن تُصرف في حظوظ تافهة، تلبية لرغبات النفس الأمّــارة،

---

١. المثنوي العربي النوري ٤٥١

٢. صيقل الإسلام ٤٦٤

٣. صيقل الإسلام ٤٦٤

واستمتاعاً بلذائذ دنيوية فانية، فتهدر وتضيّع بعد ذلك.[1]

سيدفع الإنسان إلى التعلّق بالمعالي إذا تمثّل ظاهرا وباطنا المقاصد الجليلة، وخاصة إذا نظر إليها من زاوية السرّ في وفرة الأجهزة التي منحت له وغناها، "إنّ حواسَّ الإنسان ومشاعره قد اكتسبت قوةً ونماءً وانكشافاً وانبساطاً أكثر، لما يملك من الفكر والعقل، فقد تبايَن كثيراً مدى استقطاب حواسه، نظراً لتباين وكثرة احتياجاته. لذا تنوعت أحاسيُسه وتعددت مشاعرُه.. ولأنه يملك فطرةً جامعةً فقد أصبح محوراً لآمالٍ ورغباتٍ عدة ومداراً للتوجّه إلى مقاصدَ شتّى..

ونظراً لكثرة وظائفه الفطرية فقد انفرجت أجهزتُه وتوسّعت.. وبسبب فطرته البديعة المهيّأة لشتى أنواع العبادة فقد مُنح استعداداً جامعاً لبذور الكمال، لذا لا يمكن أن تُمنح له هذه الأجهزة الوفيرة إلى هذه الدرجة الكثيفة لتحصيل هذه الحياة الدنيوية المؤقتة الفانية فحسب، بل لابدّ أنّ الغايةَ القصوى لهذا الإنسان هي أن يفي بوظائفه المتطلّعة إلى مقاصدَ لا نهاية لها، وأن يعلن عجزَه وفقره بجنب الله تعالى بعبوديته، وأن يرى بنظره الواسع تسبيحات الموجودات، فيشهد على ذلك ويطّلع على ما تمدّه الرحمة الإلهية من إنعام وآلاء فيشكر الله عليها، وأن يعاين معجزات القدرة الربانية في هذه المصنوعات فيتفكر فيها ويتأمّل وينظر إليها نظر العبرة والإعجاب.[2]

تعلّق الإنسان بالمقاصد حين مباشرة العيش في الدنيا يسعفه في تجاوز الضغوط التي تعترض طريقه، فإذا اشتد خناق الأمراض وألوان الغربة وأنواع الظلم عليه، ووجد أنّ علاقاته تنفصم مع الدنيا، اكتشف أنّ مقصد الإيمان في مجمل مضامينه وتجلياته – وخاصة التوحيد والنبوة والحشر – يرشده بأنّه مرشّح

---

١. انظر الكلمات ١٤٠

٢. الكلمات ٣٦٧

لدنيا أخرى أبدية، وأنّه مؤهل لمملكة باقية وسعادة دائمة، ففي هـــذه الأثنـــاء يترك كلّ شيء تقطر منه الحسرة ويجعله يتأوه ويتأفف، وأبدله بكلّ ما يبـــشّر بالخير والفرح ويجعله في حمدٍ دائم. ولكن أنّى لهذه الغاية أن تتحقق وهي غاية المنى ومبتغى الخيال وهدف الروح ونتيجة الفطرة، إنّه لا طريق لتحـــصيلها إلاّ بقدرة القدير المطلق الذي يعرف جميع حركات مخلوقاته وسكناتهم قولاً وفعلاً، بل يعرف جميع أحوالهم وأعمالهم ويسجّلها كذلك. وأنّى لهـــا أن تحـــصل إلاّ بعنايته الفائقة غير المحدودة لهذا الإنسان الصغير الهزيل المتقلّب في العجز المطلق حتى كرّمه، واتخذه خليلاً مخاطباً، واهباً له المقام السامي بين مخلوقاته[1].

سادساً: أهمية المقاصد في تنبيه المخاطب

يتميّز الأستاذ بديع الزمان باستعمال النصيحة والموعظة المعروضة في قالب يمزج بين مخاطبة العقل والعاطفة، لهذا يركّز على لفت انتباه القـــارئ أو المـــسترشد إلى النظر في الآفاق والأنفس تيسيرا لتبليغ المعاني التربوية بمختلف أبعادها.

يخاطب قلب الإنسان وعقله، فيخاطبه في كنف استحضار المقاصد الـــتي يتوخى خالقه تنبيهه إليها، ذلك أنّك أيّها الإنسان إن نظـــرت إلى الكـــون في كنف المقاصد تتنبّه إلى الشواهد الجزئية المتناثرة في الكتاب المنظور (الكـــون) بطريقة حكيمة، تؤيّدها الشواهد المبثوثة في الكتاب المسطور (القرآن الكريم)، "فهذه الخواتيم القرآنية التي تُمهَرُ بها الآيات مع تأييدها لآياتهـــا، ترفـــع رأس المخاطب من الجزئي المشتّت غلى الكلي البسيط الواضح، ومن الجزء المفـــصّل إلى الكلّ المجمل. وتوجّه نظره إلى المقصد الأعلى.."[2].

---

١. اللمعات ٣٨٩

٢. المثنوي العربي النوري ٢٦٧

١. التخلّق بالأخلاق الإلهية

النظرة المقصدية للكون والحياة وفق التصوّر الإسلامي المستفاد من رسائل النور تسعف متبنيها على تبني الغاية القصوى للإنسانية والوظيفة الأساسية للبشرية، فتتعلّق الهمم بالتخلّق بالأخلاق الإلهية، "التي تعني التحلي بالسجايا السامية والخصال الحميدة – التي يأمر بها الله سبحانه – وأن يعلم الإنسان عجزَه فيلتجئ إلى قدرته تعالى، ويرى ضعفَه فيحتمي بقوته تعالى، ويشاهد فقره فيلوذ برحمته تعالى، وينظر إلى حاجته فيستمد من غناه تعالى، ويعرف قصوره فيستغفر ربه تعالى، ويلمس نقصه فيسبّح ويقدّس كماله تعالى.[١] ويتوكّل عليه حق التوكّل، التوكّل الذي يعني أخذ الأسباب، ذلك أنّ التوكل في ترتيب المقدمات كسل، بينما تفويض الأمر إلى الله في ترتّب النتيجة توكل يأمر به الشرع.[٢]

٢. التنبيه العلمي والمنهجي

أ. الكشف عن أهمية الكتاب الكريم

ترمي المقاصد إلى إعادة القرآن الكريم إلى صدارة مصادر التوجيه المعرفي والمنهجي، إذ العلاقة بين المقاصد ومصدرها الأصلي والأساسي وثيقة لا تنفك، بحيث يعد فقده سببا في فقد أثر المقاصد نفسها في حياة الإنسان أو على الأقل يكون تغييبه سببا في اختلاف الأقوال والرؤى في مقاصد وجود الإنسان، لهذا كان حضور المقاصد في وعي المسلم حضورا للتوحيد في مضامينه المعرفية (توحيد المعارف التي تسعف في استيعاب الرؤية للآفاق والأنفس) من هنا يعمل

---

١. انظر الكلمات٦٤٢

٢. انظر اللمعات ٨٧٠

على عودة القرآن إلى صدارة التوجيه، لأن "وجود ذلك المعلم الأستاذ الذي نشاهده ونسمع خطابه، إذ لولاه لذهبت تلك المقاصد هباء منثوراً، كالكتاب المبهم الذي لا يُفهم معناه، ولا يبينه أستاذ، فيظل مجرد أوراق لا معنى لها!.."[1] ولهذا يمثّل القرآن الكريم مصدرا معرفيا أساسيا في معرفة مقاصد الخالق في خلق الخليقة من جهة، ووسائل تحقيق تلك المقاصد من جهة أخرى.

ب. التنبيه إلى البعد المنهجي

ترمي رسائل النور في مقاصدها الفرعية إلى التربية المنهجية لطلاّبها، حتى ليغدو بالنسبة إليها التعلّق بالتفكير المنهجي من متطلّبات المقاصد الكلية من جهة مضمونها ثم من جهة تبليغها وتمكينها في المجتمع، لهذا تقرر الرسائل أنّ وسيلةً حقة (ولو كانت في باطل) غالبةٌ على وسيلةٍ باطلة (ولو كانت في الحق).[2]

كما أنّه من الرتبة المنهجية أن يتعلّق الإنسان بالأسباب الموجبة لإيجاد النتائج المرتبطة بها ارتباطا سننيا (منطقيا)، فلا نرمي إلى الصعود باتّخاذ طريق النزول أو العكس، كما أننا لا يمكن أن نفتّش عن الفعالية بغير سبلها الموضوعية والسننية، الفعالية ترجع إلى التضحية والتضحية مصدر قوّتها القوة المعنوية التي توجبها، وبهذا الصدد يتساءل الأستاذ النورسي: "ما الحكمة في القوة المعنوية في تحمل هذا المضحي، لأشد الظلم النمرودي من أعداء الوطن والدين المستترين، وفي عدم مواجهته القوة المادية بالرد المادي التخريبي؟ فها أنا أعلن لكم ولأهل الوجدان كلهم جميعاً:إنّ القرآن الحكيم قد علّمه ذلك لأجل ألا يتضرر تسعون بريئاً بسبب زنادقة ملحدين نسبتهم عشرة في المائة، ومن أجل المحافظة على الأمن والنظام في الداخل بقوّته كلّها، ومن أجل نصب

---

١. انظر الكلمات ١٣٢

٢. انظر اللمعات ٨٧١

حارس في قلب كل إنسان بدروس النور. ولولا ذلك، لانتقمتُ في يوم واحد من أعدائي الذين ظلموني مدة ثمان وعشرين سنة.لهذا لا ترى الأستاذ مدافعا ضد من يهين عزته وكرامته حفاظاً على الأمن من أجل الأبرياء، ويقول:أنا مستعد للتضحية بحياتي الدنيوية من أجل ملة الإسلام، بل حتى بحياتي الأخروية إن لزم الأمر."[1]

٣. السننية في التفكير

النظر بعيني العقل والقلب في المقاصد المطلوبة أو المرسومة، يسعف المتأمّل في التأسيس للتفكير السنني، لحمة التفكير المنهجي، من هنا كان النظر في المقاصد بعين التأمّل مسعفا رئيسا في التأسيس للتفكير المنهجي، مثاله الامتثال والطاعة لقانون التكامل والرقي للصانع الجليل – الجاري في الكون على وفق تقسيم الأعمال – فرض وواجب، إلاّ أن الطاعة لإشارته ورضاه سبحانه الكامنين في ذلك القانون لم يوف حقها.علماً أن يد عناية الحكمة الإلهية – التي تقتضي قاعدة تقسيم الأعمال – قد أودعت في ماهية البشر استعدادات وميولاً، لأداء العلوم والصناعات التي هي في حكم فرض الكفاية لشريعة الخلقة"[2].

كما يستفاد التفكير المنهجي من التنبيه المستمر إلى وجوب استصحاب التحليل السنني في التعامل مع الظواهر بجميع أشكالها وأنواعها، وخاصة المتعلّقة بمسائل الدين، فمنها إشارته إلى أنّ مما يشوش أفكار الظاهريين، ويخلّ بخيالاتهم، اعتقادهم أن دلائل صدق الأنبياء عليهم السلام، محصورة ضمن خوارق العادات. واعتبارهم أن جميع أحوال رسولنا الكريم ﷺ وحركاته – أو معظمها – لا بد أن تكون خارقة. وهذا ما لا يسمح به الواقع، لذا لا يستقيم ولا

---

١. سيرة ذاتية ٤٦٣

٢. سيرة ذاتية ٥٠٣

يصلح لهم ما يتخيلون. إذ أن اعتقاداً كهذا غفلة عظيمة عن سر الحكمة الإلهية في الوجود، وعن تسليم الأنبياء عليهم السلام مقاليد الانقياد إلى قوانين الله الجارية في العالم."[1]

أ. رؤية أثر الحكمة

كما يسهم النظر إلى الكون – بما يتوزّع عليه من مقاصد كلّية وجزئية – في التأسيس لرؤية الحكمة الفائقة في الأفراد والجماعات بل وكل عناصر الكون المادية والمعنوية، "أنظر، كيف تُنجز الأعمال هنا بحكمة فائقة وبانتظام بديع، وتأمّل كيف يُنظر إلى المعاملات بمنظار عدالةٍ حقّة وميزانٍ صائب."[2]

ب. تيسّر تفسير سير الحياة وتنظيم الكون

تيسّر نظرة المقاصد المستفادة من القرآن الكريم المبثوثة في رسائل النور تفسير سير الكون فضلا عن نشأته ومصيره، فالنظر إليه في إطار المقاصد يؤكّد أنّ جميع عناصر الكون ومظاهرها المادية والمعنوية إنّما جعلت لخدمة الإنسان، لأنّ الإنسان هو أشرف الأسباب وأوسعها اختياراً وأشملها تصرفاً في الأمور، وهو في أظهر أفعاله الاختيارية، كالأكل والكلام والفكر –التي كلّ منها عبارة عن سلسلة عجيبة وفي غاية الانتظام والحكمة– ليس له نصيب منها إلاّ واحداً من مائة جزء من السلسلة.[3]

إنّ البشر ثمرٌ لهذه الكائنات، فهو المقصود الأظهر لخالق الموجودات. والقلبُ كالنواة، فهو المرآة الأنوار، لصانع المخلوقات من هذه الحكمة.

---

١. صيقل الإسلام/محاكمات ٦٥

٢. الكلمات٥٠

٣. الكلمات ٧٢٧

obeikandl.com

فالإنسان الأصغرُ في هذه الكائنات هو المدار الأظهرُ للنشر والمحشر في هذه الموجودات، والتخريبِ والتبديلِ والتحويلِ والتجديد لهذه الكائنات."[1]

من هنا كانت جميع الأثمار وما فيها من بذيرات، معجزات الحكمة الإلهية، إنّها مظهر خوارق الصنعة الإلهية،تمثّل هدايا الرحمة الإلهية، وهي في ذات الوقت براهين مادية للوحدانية، وبشائر الألطاف الإلهية في الدار الآخرة، وشواهد صادقة بأن خلاّقها على كل شيء قدير، وبكل شيء عليم؛ ولفت النظر إلى أي فرع منها يؤكّد تلك الحقيقة الناصعة، لاحظ إن شئت البذور والأثمار، فستراها مرايا الوحدة في أقطار عالم الكثرة، ترى فيها الكثرة في الوحدة.[2] والوحدة في الكثرة.

إنّ النظر إلى الكون من زاوية المقاصد الشرعية يسهّل فهم المعطيات الكونية، فالبذورُ والأثمارُ، والحبوبُ والأزهارُ معجزاتُ الحكمة، وخوارقُ الصنعة.. هدايا الرحمة، وبراهينُ الوحدة، وشواهدُ لطفه في دار الآخرة، وشواهدُ صادقة بأنّ خلاّقها على كل شيء قدير وبكلّ شيء عليم. قد وَسِع كلّ شيء بالرحمة والعلم والخلق والتدبير والصنع والتصوير. فالشمسُ كالبذرة، والنجمُ كالزهرة، والأرضُ كالحبّة، لا تثقل عليه بالخلق والتدبير، والصنُع والتصوير. فالبذور والأثمار مرايا الوحدة في أقطار الكثرة، إشاراتُ القَدَر، رموزاتُ القُدْرَة بأنّ تلك الكثرة من منبع الوحدة، تصدُرُ شاهدةً لوحدة الفاطر في الصنع والتصوير. ثم إلى الوحدة تنتهي ذاكرةً لحكمة الصانعِ في الخلق والتدبير، و تلويحات الحكمة بأنّ خالق الكلّ -بكُلّية النَظَر إلى الجزئي- ينظُرُ

---

١. الكلمات ٧٣٢

٢. الكلمات ٧٣٣

ثَمَّ إلى جزئه، إذ إن كان ثمراً فهو المقصود الأظهرُ مِن خلق هذا الشجر[١]

النظر في مقصد التوحيد المبثوث في الكتابين المسطور والمنظور، ييسّر فهم الكون واستيعاب معانيه وحكمه، بخلاف الشرك الذي يجعل الكون مستعصيا على الفهم، "فيا مَن له أدنى شعور – ولو كشعرة – هل يمكن مشاهدة هذه السهولة المطلقة في الجود المطلق في رخيصية مطلقة ومع شهود هذه الحكمة العامة في الانتظام المطلق، أن يستند خلق الشيء كهذه الرمانة مثلاً إلى أسباب جامدة، لكن تجلب جهازات أكثر الأشياء لتصنيع ذلك الشيء الواحد الذي هو مثال مصغر لكل تلك الأشياء، وأن لا تكون لهذه الرمانة غاية إلاّ أكلها في دقيقة للذة حيوانية."[٢]

ويسعف النظر في الدلالات الجزئية على الحكمة نفسها المستفادة من النظر في الكون، أنظر مثلا، كيف تساعد الحكمة التي وظّفت رأس الإنسان في حواسه، بوظائف عديدة، لو خصّصت لكل وظيفة منها في رأس الإنسان مقدار خردلة لصار رأس الإنسان كجبل الطور."[٣] والأعجب أن ترى الحكمة نفسها في جميع مظاهر الكون المادي، فترى دقّة الصنعة في الرمانة التي منتهى غايتها أكلك في لحظة غفل، فمحال ظاهر أن يثمر رأسك جبلاً من الأثمار، وأن لا يثمر مثل الجبل إلاّ ثمرة كرأسك.إذ يلزم حينئذٍ جمع نهاية الحكمة مع نهاية العبثية، وهو من أمحل المحال وأبطل الباطل، بل تلك الرمانة، كأمثالها تضمنت قصيدة في بيان الأسماء الحسنى، فأفادت معانيها، فوفّت فتوفّت فدفنت من فيك فيك."[٤]

---

١. الكلمات ٧٣٢

٢. المثنوي العربي ٤٦٧

٣. المثنوي العربي النوري ٤٦٧

٤. انظر المثنوي العربي النوري ٤٦٧

أبصر في نفسك والكون الذي حولك بالمقاصد المبثوثة فيه، فترى العَـدل الحاكم، هو الحكمُ الفرد، هو العادل الحكيم.. إذ هو الـذي أسّـس بنيـان الكائنات، بمسطر المشيئة، بالحكمة النظّامة، أصول حكمته رابطة الموجودات، ففصّل الموجودات بدستور القضاء، بقانون القدر، قوانين القـدرة، خيّاطـة الصور، لقامة المصنوعات، فنظّم الكائنات بناموس السُنّة، بقـانون العـادات، نواميس السنّة، قوانين العادة، نظّامة المخلوقات، "إذ يفعل ما يشاء ويحكم مـا يريد" في الأرض والسموات.. بتلطيف الرحمة، بتكريم العنايـة.. قـد زيّـن الكائنات.. نواميس الرحمة.. دساتير العناية.. حـسّانة المـصنوعات وزينـة الموجودات.. فنوّر الكائنات.. بجلوة الأسماء تجلّـي الـصفات.. تظـاهرات الأسماء.. في جَلوات الصفات.. نوّارة الموجودات.. في الأرض والسموات.[1]

نرى بين دلالة الحكمة على المقاصد ودلالة المقاصد على الحكمة تـداخلا كبيرا، بحيث تكون كل واحدة منهما طريقا للأخرى فالزهر والثمر، والحـب والبذر، معجزات الحكمة، هدايا الرحمة، براهين الوحدة، بشائر لطفـه،في دار الآخرة، شواهد صادقة، بأنّ صانعها بكلّ شيء عليم، على كل شيء قـدير، وسع كل شيء بالرحمة والعلم، باللطف والتدبير.[2] فتشاهد كل نـوع مـن آلاف الأنواع الأحياء التي تزيد على خمسين مليوناً على الكرة الأرضية، يلبس أقمصته المزركشة المنسقة ويبدّلها كل سنة، بل لا يبقى جناح واحد وهو عضو واحد من مئات أعضاء الذباب الذي لا يعد ولا يحصى، لا يبقى هذا العـضو هملاً ولا سدىً بل ينال نور القصد والإرادة والحكمة. مما يدل على أن الأفعال والأحوال الجليلة للكرة الأرضية الضخمة – التي هي مهد ما لا يحد من ذوي

---

١. المثنوي العربي النوري ٤٧٣

٢. المثنوي العربي النوري ٤٧٥

المشاعر وحضارتهم ومرجعهم ومأواهم – لا تبقى خارج الإرادة والاختيار والقصد الإلهي، بل لا يبقى أي شيء خارجها، جزئياً كان أم كلياً[1]. والنظر في الكتاب المسطور يؤكّد الحقيقة نفسها لقد تحوّلت بذلك النور حركاتُ الكائنات وتنوعاتُها وتغيراتُها من العبثية والتفاهة وملعبة المصادفة إلى مكاتيب ربانية، وصحائف آياتٍ تكوينية، ومرايا أسماء إلهية.حتى ترقّى العالَمُ وصار كتاب الحكمة الصمدانية[2]، كما أن النظر في مقصد التوحيد ييسّر لك فهم تلك الحكمة المتناثرة بإحكام في الكل.

تقرر أبعاد المقاصد أنّ للمقاصد السامية حال التزام بها آثارا عظيمة على الإنسان، كما أنّ الغفلة عنها أو إهمالها المطلق يأسر الإنسان بمقاصد تافهة تدمّر حياة الفرد والمجتمع، من هذا المنطلق نركّز على الآثار الإيجابية للعناية الفعلية بالمقاصد السامية، كما سنوضّح خطر إهمالها على الإنسان والمجتمع والأسرة الإنسانية.

سابعا: أهمية المقاصد في التأسيس للبعد الاجتماعي

١. الكشف عن قيمة الإنسان

قيمة المجتمع من قيمة الإنسان، والمجتمع الذي لا قيمة للإنسان فيه لا يعير أي قيمة للمجتمع، ومبنى تلك القيمة المقاصد التي تتوخّى الرسالة تحقيقها، فإذا كانت المقاصد إنسانية كان المجتمع المنشود إنسانيا، ذلك أنّ قيمة الإنسان في الرسالة تتعلّق بمقاصدها فيه، لأنّه لا يمكن أن يكون شيء موهوم مبدءاً لحقيقة خارجية. فنقطة الاستناد والاستمداد حقيقتان ضروريتان مغروزتان في الفطرة والوجدان، حيث إنّ الإنسان مكرّم وهو صفوة المخلوقات، فلولاهما لتردى

١. الكلمات، الكلمة الرابعة عشرة ١٩٨

٢. الكلمات ٢٥٧

الإنسان إلى أسفل سافلين، بينما الحكمة والنظام والكمال في الكائنات يردّ هذا الاحتمال." فالمقاصد المتجلية في الكتابين المسطور (القرآن الكريم) والمنظور (الكون بما فيه الإنسان)، تكشف عن أهمية الإنسان بالنسبة لرسائل النور إضافة إلى البعد الإنساني في المسعى الاجتماعي من جهة والوظيفة الكلية للرسالة التي تمثّلها رسائل النور من جهة أخرى.

وترجع القوّة المعنوية في رسائل النور إلى وجود محفّزات موضوعية فاعلة في إيجاد دافعية فعل الخير وحمايتها، فمثلا، كما أن وجود الجنة والنار ضروري في الآخرة فإنّ الغلبة المطلقة ستكون للخير وللدين الحق في المستقبل، حتى يكون الخير والفضيلة غالبين في البشرية كما هو الأمر في سائر الأنواع الأخرى، وحتى يتساوى الإنسان مع سائر إخوانه من الكائنات، وحتى يحق أن يقال في حقّه: "أنّه قد تحقق وتقرر سرّ الحكمة الأزلية في النوع البشري أيضاً."[1]

٢. طريق جلب السعادة الدنيوية

من بين الأهداف التي ترمي إلى تحقيقها المقاصد بطريقة موضوعية، التأسيس لفاعلية حياة الإنسان المسلم من خلال ربطها بالمقاصد مع تحديد الوسائل الكفيلة بتحقيق ذلك المسعى، ولعلّ من الأهداف السامقة التي خدمتها مجموع المقاصد الكلية والفرعية رسم طريق جلب السعادة الأبدية كهدف نهائي للمسير البشري.

يعود ما ناله المسلمون عربا وعجما من سعادة دنيوية إلى تسليم أمرهم لله تعالى والرضا بقضائه وقدره ، فقد كانوا يرون الحكمة في المقاصد الكلية، ويتلقّون دروس العبرة من الحوادث بدلاً من الرهبة والهلع منها.[2]

---

١. صيقل الإسلام ٥٠٤

٢. صيقل الإسلام ٥١٩

٣. عنصر قوّتنا المادية والمعنوية

تعدّ المقاصد الأصلية الخلفية النظرية لعنصر قوّتنا وفعاليتنا المادية والمعنوية في الحياة المعيشة، فمرد شجاعتنا وبطولاتنا على مرّ التاريخ التزامنا بمضامين الأوامر الإلهية، وقد ثبت ذلك بمنطوق القرآن الكريم والحديث النبوي الصحيح، وأيّدتها التجربة والحكمة الموزّعة كالدرر المنتظم في مساحات الكون المترامية الأطراف، إنّ راية الإسلام والتوحيد التي بين أيدينا على مرّ التاريخ كانت سببا قويّا في شجاعتنا وبطولاتنا[١] المتناقلة جيلا عن جيل.

٤. اكتشاف حكمة الوظيفة

قراءة المقاصد بعين القلب والعقل يسمح باكتشاف حكمة وظيفة الإنسان على الأرض، لأنّه"لما توجّه نوع البشر نحو المستقبل سأل فن الحكمة المرسل من قبل الكائنات، ومن جانب حكومة الخلقة مستنطقاً: يا بني آدم! من أين؟ وإلى أين؟ ما تصنعون؟ من سلطانكم؟ من أين مبدؤكم وإلى أين المصير؟. فبينما المحاورة، إذ قام سيد نوع البشر محمد ﷺ وخطيبهم ومرشدهم: أيها السائل نحن معاشر الموجودات أتينا بأمر السلطان الأزلي، مأمورين ضمن دائرة القدرة الإلهية، وقد ألبسنا واجب الوجود المتصف بجميع صفات الكمال، وهو الحاكم الأزلي، حلة الوجود هذه، ومنحنا استعداداً هو رأسمال السعادة.. ونحن معاشر البشر ننشغل الآن بتهيئة أسباب تلك السعادة الأبدية.. ونحن على جناح السفر، من طريق الحشر إلى السعادة الأبدية. فيا أيتها الحكمة اشهدي وقولي مثلما ترين، ولا تخلطي الأمور بالسفسطة."[٢]

---

١. انظر صيقل الإسلام ٥٤٠

٢. صيقل الإسلام ١٥٨

ولا يتوقّف الأمر عند اكتشاف البعد الوظيفي بل يتعدّاه بالتنبيه إلى أصول السعادة الأبدية المخزونة في الالتزام بتلك المقاصد السامية، لأنّ لا يلتئم قبول العبث في الكون مع الثابت بشهادة العقل والحكمة والاستقراء ذلك النظام المتكامل الدال على السعادة الأبدية، لأنّ العدم يحيل كل شيء إلى العبث.[1].

٥. التعرّف على الحكمة

لا يكون النظر إلى الكائنات نظر حكمة، إلاّ إذا أبصرها الإنسان في إطار رؤية مقصدية، تحتكم إلى المقاصد المبثوثة في جميع مظاهر الكون، تلك النظرة التي تجعلك ترى الدنيا كأنّها شجرة عظيمة متناغمة، فكما أنّ الشجرة لها أغصان وأوراق وأزاهير وثمرات، ففي العالم السفلي – الذي هو شقّ من شجرة الخلقة – تشاهد أيضاً أنّ العناصر بمثابة أغصانه، والنباتات والأشجار في حكم أوراقه، والحيوانات كأنها أزاهيره، والأناسي كأنهم ثمراته، فالقانون الإلهي الجاري على الأشجار يلزم أن يكون جارياً أيضاً على هذه الشجرة العظمى، وذلك بمقتضى اسم الله "الحكيم "، لذا فمن مقتضى الحكمة أن تكون شجرة الخلقة هذه ناشئة أيضاً من نواة، وأن تكون النواة جامعةً نماذج وأسس سائر العوالم فضلاً عن احتوائه على العالم الجسماني، لأنّ النواة الأصلية للكائنات المتضمنة لألوف العوالم ومنشأها لا يمكن أن تكون مادة جامدة قط.[2]

النقطة الثانية: مفسدات فاعلية المقاصد

لا يستفيد المرء من معرفة المقاصد الحقّة من الخليقة ما لم يتحرّر عقلا وقلبا من مجموعة من المكدّرات المعنوية والمادية، لهذا لا تنفع المعرفة المجملة أو

---

١. صيقل الإسلام ١٦٠

٢. الكلمات ٦٩٢

التفصيلية للمقاصد بتمكّن تلك المنغّصات من قلوب وعقول المكلّفين، بل ينبغي أن يحرر مدركها من الوقوع تحت طائلة موانع الاستفادة من إدراك تلك المقاصد الشرعية.

ذكر الأستاذ مجموعة لا يستهان بها من صوارف البال عن القراءة الموضوعية والإيجابية للكون والحياة، ولو أطلق الباحث لنفسه عنان بحثها واستقصائها لما وسعته المجلّدات الطوال، لهذا سنقتصر في هذه العجالة على بعضها.

١) النظر إلى الكون من زاوية الشرك

يبطل الانتفاع بالمقاصد إذا نظر إلى الكون من زاوية الشرك، ذلك أنّ التدخّل العشوائي للشرك في أي موجود من الموجودات – مهما كان جزئياً – وفي أي كائن حي – مهما كان بسيطاً أو صغيراً – يفسد تلك الغايات، ويبطل تلك المقاصد، ويصرف الأذهان عن تلك الغايات، وعمن أرادها وقصدها، إلى الأسباب. وهذا ما يخالف ماهية الربوبية المطلقة تماماً ويعاديها. فلابد إذاً أن تمنع هذه الربوبية الواحدة المطلقة الشرك وصوره بأي شكل من الأشكال، فإرشادات القرآن الكريم الغزيرة المستمرة إلى التوحيد، وإلى التقديس والتنزيه والتسبيح، في آياته الكريمة، وفي كلماته، وحتى في حروفه وهيئاته، نابعة من هذا السر الأعظم.[1]

تخيّل أنّه قيل للأرض التي هي جندي في جيش السماوات:قفي لا تتدخلي في أمر التناغم المحدد للوظيفة الجزئية في الإطار الكلي الشامل للمنظومة الفلكية، وأُحيل استحصال نتيجة الانتظام وذلك الوضع إلى السماوات نفسها، وسُلكت طريق الكثرة والشرك بدل الوحدة، يلزم عندئذٍ أن تقطع ملايين النجوم كل

١. الشعاعات ١٩٤

منها أكبر بألوف المرات من الكرة الأرضية، أن تقطع كل يوم وكل سنة مسافة مليارات السنين في أربع وعشرين ساعة.[1]

ولا يبعد الكفر والمعصية عن أثر الشرك بسبب بعدهما عن المقاصد المعنوية والمادية الخاصة والعامة، إنّ الكفر والمعصية نوع من العدم والتخريب، فيمكن أن يحركهما الجزء الاختياري بأمر اعتباري، فيسببان نتائج مريعة. لأن الكفر وإن كان سيئة واحدة، إلاّ أنّه تحقير لجميع الكائنات بوصمها بالتفاهة والعبثية، وتكذيب لجميع الموجودات الدالة على الوحدانية، وتزييف لجميع تجلّيات الأسماء الحسنى.فإنّ تهديده سبحانه وتعالى وشكواه باسم الكائنات قاطبة، والموجودات كافة والأسماء الإلهية الحسنى، كلّها من الكافر شكاوى عنيفة وتهديدات مريعة هو عين الحكمة وأنّ تعذيبه بعذاب خالد هو عين العدالة.[2]

إنّ الكفر والضلالة تجاوز شنيع وتعدّ رهيب، وجريمة تتعلّق بجميع الموجودات. ذلك لأنّ أهل الكفر والضلالة يرفضون الغاية السامية لخلق الكائنات التي نتيجتها العظمى عبودية الإنسان وتوجّهه بالإيمان والطاعة والانقياد للربوبية الإلهية. فإنكارهم هذه النتيجة العظمى للكون – التي هي العلّة الغائية وسبب بقاء الموجودات – نوعٌ من تعدٍ على حقوق جميع المخلوقات.[3]

٢) حصر الهمّة في الاستفادة الشخصية

يقوم الكون في عناصره المادية والمعنوية على التناغم الكبير بينها، ذلك التناغم الذي يرجع في كثير من عناصر فاعليته إلى شمول عناصره والتكامل بينها وفق جعل الله لها، لهذا تستحيل الاستفادة الاجتماعية من معرفة المقاصد إذا فَنِيَ

---

١. انظر المكتوبات ٣٣٣

٢. الكلمات ٥٤٤

٣. اللمعات ١٢٨

المستفيد في جهة استفادته وحصر ذهنُه في طريقها وينسى ما عداها وينظر إلى كل شيء لنفسه ويحصر العلة الغائية على ما يتعلق به، فإذاً لا مجازفة في الكلام الموجَّه إلى ذلك الشخص في مقام الامتنان بأن يقال: إنّ زحل الذي أبدعه خالقه لألوفِ حِكَمٍ، وفي كل حكمة ألوفُ جهاتٍ، وفي كل جهة ألوفُ مستفيدٍ العلة الغائية في إبداعه جهة استفادة ذلك الشخص.[1] ومن هنا كان الإنسان من أظلم الخلق، فانظر ما أشدّه ظلماً! فلشدّة حبّه لنفسه لا يعطي الأشياء قيمة إلاّ بمقدار خدمتها لنفسه، وينظر إلى ثمرتها بمقياس نفعها له، ويظن العلّة الغائية في الحياة عين الحياة.

متغافلا في ذلك عن مبادئ رئيسة مؤدّاها أنّ للخالق في كلّ حيّ حِكَماً تدق عن العقول.[2]

٣) التعلّق بالدنيا ومفاتنها

التعلّق بالدنيا يمنع من رؤية المقاصد الموزّعة بإحكام على الكون بعناصره المختلفة، إنّ المبتلى بحبّ هذه الحياة يحسبَ أنّ العلة الغائية في الحياة وبقائها، وأنّ كل ما أودعته القدرة الأزلية في جوهر الإنسانية وذوي الحياة من الجهازات العجيبة والتجهيزات الخارقة، إنّما أعطاها الفاطر الحكيم لحفظ هذه الحياة السريعة الزوال، ولأجل البقاء. كلا ثم كلا!. إذ لو كان بقاء الحياة هو المقصود من كتاب الحياة، لصار أظهر وأبهرُ وأنورُ دلائل الحكمة والعناية والانتظام وعدم العبثية بإجماع شهادات نظامات الكائنات، أعجَبَ وأغربَ وأنسَب مثال العبثية والإسراف، وعدم الانتظام وعدم الحكمة. كمثل شجرٍ –

---

١. انظر إشارات الإعجاز ٢٢٤

٢. المثنوي العربي النوري ٣١١

كجبل – ليس لها إلاّ ثمرة فردة كخردلة، بل يرجع إلى الحي من ثمرات الحياة وغاياتها بمقدار درجة مالكية الحي للحياة وتصرفه الحقيقي فيها. ثم سائر الثمرات والغايات راجعة إلى المحيي جل جلاله بالمظهرية لتجليات أسمائه، وبإظهار ألوان وأنواع جلوات رحمته في جنته في الحياة الأخروية التي هي ثمرات بذور هذه الحياة الدنيوية.[١]

ويولّد التعلّق بالدنيا تبديل الغاية، فتصبح كالغاية المشهورة بين أهل الغفلة التي هي جهة استفادتنا منه، من الأكل وغيره، فأقل وأحصر، وأذلّ وأصغر من أن تكون غاية تامّة لخلقة الشيء، بل هي وسيلة إحدى غاياته.[٢]

٤) الإغراب في الأسلوب والمضامين

تلحق غرابة الأسلوب ضررا عظيما بالمقاصد والغايات النبيلة، فتكون سببا في عزوف الناس عن النظر إلى المقاصد نفسها، ولا يشفع لها سلامة النيات وصحة الغايات، ذلك أنّ: "الانشغال بذلك المسلك الذي يفتح مغاليق تلك الأسرار الغيبية يلحق الضرر بالعمل لأسس الإسلام، لهذا كان العمل في مسلك الوضوح أهم من ذلك المسلك وأثمن منه وأقوم، وهو محور الحاجة العامة ويُسد الحاجة الماسة للجميع بالعمل لأسس الإسلام وهو خدمة خزينة الحقائق الإيمانية والاستفادة منها، من هذا المنطلق وُجّهنا إلى سلوك هذا الطريق، لأن الانشغال بذلك المسلك يجعل المرء يدع أعظم المقاصد وأجلّها – وهي الحقائق الإيمانية – في درجة تالية.[٣]

---

١. المثنوي العربي ١٩٣

٢. المثنوي العربي النوري ٤٦٦

٣. الملاحق ١٤٨

٥) الابتعاد عن المقاصد الشرعية سبب في تذكية الصراع

الاختلاف في الالتزام بمقتضى المقاصد الشرعية كان وما يزال وسيبقى سببا في شرارة الفتن، ذلك أنّك لا تجد بين المتصارعين اتفاقا في المقصد ولا غاية، بل ليس على الكرة الأرضية نقطة تلاق لأفكارهم، ذلك لأنه ليس لأجل الحق، فترى فيه الإفراط البالغ دون حدود، مما يفضي إلى انشقاقات غير قابلة للالتئام. وحاضر العالم شاهد على هذا..[١]

٦) التأهّل لنيل العقوبة

يقع الإنسان جرّاء عدم انسجامه مع المقاصد الشرعية تحت طائلة استحقاق العقوبة الدنيوية والأخروية، لأن ذلك العاصي يستحق بلا ريب التهديد الرهيب كما يستحق أنواعاً من الوعيد المرعب[٢]، بسبب عدم التناغم مع المقاصد الشرعية في بعديها المادي والمعنوي.حتى تغدو المظالم التي يقترفها الإنسان عند خرقه الغاية من الخلق سببا في الغضب الإلهي والسخط الرباني، تلك المظالم التي تثير هيجان الكائنات والأرض والسماء والعناصر وتؤجج غضبها على مقترفيها.[٣]

٧) التحوّل السلبي

"العقل عضو وآلة، إن لم تبعه – يا أخي – لله و لم تستعمله في سبيله، بل جعلته في سبيل الهوى والنفس، فإنّه يتحوّل إلى عضو مشئوم مزعج وعاجز، إذ يحمّلك آلام الماضي الحزينة وأهوال المستقبل المخيفة، فينحدر عندئذٍ إلى درك

---

١. المكتوبات ٣٤٨

٢. الكلمات ١٩١

٣. انظر الشعاعات ٣٠٦ ، الكلمات ٥٢٩

obeikandl.com

آلة ضارة مشئومة، ألا ترى كيف يهرب الفاسق من واقع حياته ويـــنغمس في اللهو أو السكر إنقاذا لنفسه من إزعاجات عقله؟ ولكن إذا بيع العقل إلى الله، وأُستُعمل في سبيله ولأجله، فإنّه يكون مفتاحاً رائعاً بحيث يفتح ما لا يعد من خزائن الرحمة الإلهية وكنوز الحكمة الربانية فأينما ينظر صاحبه وكيفما يفكّـــر يرى الحكمة الإلهية في كل شيء، وكل موجود، وكل حادثة. ويشاهد الرحمة الإلهية متجلية على الوجود كله، فيرقى العقل بهذا إلى مرتبة مرشدٍ رباني يهيئ صاحبه للسعادة الخالدة".[1]

الغفلة عن المقاصد الشرعية يوقع الإنسان فريسة لتحوّل – غـــير مقـــصود أحيانا– في الغايات والمقاصد، كاعتقاد عظماء الفلسفة وروادها ودهاقها، أمثال أفلاطون وأرسطو وابن سينا والفارابي بأن الغاية القصوى لكمـــال الإنـــسانية هي"التشبّه بالواجب"! أي بالخالق جلّ وعلا، فأطلقوه حكماً فرعونياً طاغيـــاً، ومهّدوا الطريق لكثير من الطوائف المتلبسة بأنواع من الشرك، أمثـــال:عَبـــدة الأسباب وعَبدة الأصنام وعبدة الطبيعة وعبدة النجـــوم، وذلـــك بتـــهييجهم "الأنانية" لتجري طليقة في أودية الشرك والضلالة، فسدّوا سبيل العبوديـــة إلى الله، وغلّقوا أبواب العجز والضعف والفقر والحاجة والقصور والنقص المندرجة في فطرة الإنسان، فضلوا في أوحال الطبيعة ولا نجوا من حمأة الشرك كلياً ولا اهتدوا إلى باب الشكر الواسع.[2]

إهمال المقاصد من الجماعة أو نسيانها يوقع الإنسان فريسة للأنانية، فتتحوّل الأذهان إلى أنانيات الأفراد وحامت حولها[3] خادمة وخاضعة لمطالبها الآنية.

---

١. الكلمات ٢٣

٢. الكلمات ٦٤٢

٣. انظراللمعات٨٥١، المكتوبات٤١

٨) إهمال التكليف

المقاصد الكلية وضعت متكيّفة ومتناغمة مع معطيات الزمان وضرورات الظروف، وهذا يؤكّد بما لا يدع مجالا للشك أنّها وضعت في أصلها لمقاصد مرتبطة أساسا بحقائق التكليف، ذلك أنّ مقاصد التكاليف الشرعية طلب لتجلي المقاصد الكلية؛ فالمكلّف مطالب بتكييف نفسه مع الشريعة التزاما بأوامرها وتركا لما نهت عنه.

إنّ الغفلة عن المقاصد المبثوثة في الآيات المسطورة تكرّس إهمال التكاليف الشرعية المرتبطة أساسا بالابتلاء، ولّما كان الابتلاء والاختبار من مقتضيات التكليف الإلهي المرتبط بالتأسيس للحرية – أساس التكليف – يرى الأستاذ أنّ المعجزة ليست مُرغِمةً على التصديق –أي سواء أراد الإنسان أم لم يرد–، ذلك أنّ سر الامتحان وحكمة التكليف يقتضيان معاً فتح مجال الاختيار أمام العقل من دون سلب الإرادة منه. فلو ظهرت المعجزة ظهوراً بديهياً ملزماً للعقل كما هو شأن البديهيات لما بقي للعقل ثمة اختيار، ولصدَّق أبو جهل كما صدّق أبو بكر الصديق – رضي الله عنه – ولانتفت الفائدة من التكليف والغاية من الامتحان، ولتساوى الفحم الخسيس مع الألماس النفيس[1]، فالتسليم بالعدل الإلهي يفرض القول بالحرية ومقتضياتها المؤسسة لقبول فكرتي الحساب والعقاب.

---

١. المكتوبات ١١٨

obeikandi.com

الخاتمة

انطلق البحث من مجموعتين متشاكستين من الفرضيات، وبعد البحث المستقصي انتهى الباحث إلى أنّ مصطلح المقاصد في رسائل النور فكرة مركزية هادية، يستلهمها بديع الزمان في وضع المقاصد الكلية وفروعها، وتمثّل تلك المقاصد ثمرة من ثمرات القرآن الكريم، تمثّل الأستاذ النورسي مضمونها وحاول النسج على منواله في عرضها، بحيث بدت صورة مستلة منها.

استقى بديع الزمان المقاصد من القرآن الكريم والسنة المطهّرة بما فيها السيرة العطرة للنبي ﷺ، كما استثمر الجهد البشري في تأكيد تلك المقاصد، واستجابة لدواعي الزمان وضع بديع الزمان مقاصد جزئية فرعية مندمجة في المقاصد الكلية المستفادة من القرآن الكريم والسنة المطهّرة.

وقد أكّدت تلك الفرضيات بمجموعها أهمية المقاصد في درس رسائل النور من جهة واكتشاف أبعادها من جهة أخرى، بحيث تغدو بمعزل عنها أشبه بنص يؤسس للعبثية.

وبهذا نستبعد المجموعة الثانية من الفرضيات، فيؤكّد العرض أنّ مقاصد الرسائل ليست مكابدة خاصة بمعزل عن نصوص الوحي، بل تعدّ معرفة وتقعيدا منبعثا من شمس المعرفة الإلهية المسطورة في الوحي والمنظورة في الكون والمؤيّدة بالواقعين الكوني والبشري، إنّها وإن كانت في بعض جزئياتها من مقتضيات التكيّف مع معطيات الزمان والمكان، فهذا لم يدفع الأستاذ النورسي

إلى تأسيس مقاصد مزاحمة يفرضها التكيّف مع ثقافة الغازي، بل كانت في كثير منها مندمجة مع المقاصد الأصلية المستفادة من الوحيين، ليس هذا فحسب بل كانت محدّدات أساسية لتلك للمقاصد المرسومة في حدود الظروف الراهنة، مما يقرر أنّ للمقاصد الكلية أهمية معرفية وتربوية كبيرة، لا تقلّ أهمية عن المقاصد في الزمان وذلك لأهميتها العظيمة في فهم كيفيات التعامل مع الظروف وأثر ذلك في فهم ترتيب الأولويات ماضيا والإفادة منه حاضرا ومستقبلا

وقد عرضنا ما يؤكّد أنّ المقاصد مصطلح محدّد المعالم، يمكن أن نلحق به مجموعة من التوابع، كالغاية والهدف والنتيجة والحكمة والفائدة و...وأنّ لتلك المقاصد رتبا وتقسيمات متباينة، فكانت منها تقسيمات خاصة كالمقاصد الإلهية والمقصد الحقيقي ومقصد المقاصد والمقصد العالي، و...إضافة إلى تقسيمها إلى مقاصد كلية وجزئية، ومقصد أصلي ومقصد تبعي...

وقد عرضت المقاصد الكلية في رسائل النور عرضا رائعا بصيغ تدل على الغاية التربوية والمنهجية التي تحكم العرض، فكانت المقاصد الكلية جواب لأسئلة متكررة متفاوتة، تنوّعت صيغ التعبير عنها، فظهرت في صيغة التكامل بين الجزئي الكلي، وظهرت في صيغ المقاصد الفرعية المندمجة في المقاصد الكلية.

استقى الأستاذ تلك المقاصد من القرآن الكريم السنّة المطهّرة والسيرة الشريفة إضافة إلى شهادة الواقع الكوني والبشري، وتمثّل تلك المقاصد في الوحيين، أعلى مقام الكلمات، وتتميّز بالتناسب والتسلسل والتساند فيما بينها، ورعاية الفطرة والمطابقة، والتوزّع على نص الوحي، غرضها تثبيت القاعدة الكلية بأمثلة جزئية والإجابة عن أسئلة مكررة بوضوح وبساطة تيسّر تفسير الحياة والكون.

تمثّل النورسي ميزات عرض المقاصد في الوحيين، فظهرت المقاصد متناثرة بإحكام على النص النوري (رسائل النور)، وتجلّت فيها الحكمة المعرفية بمختلف وجوهها وتعدد وظائفها، إضافة الحكمة التربوية كالدعوة للاستغفار قدر العدد اللانهائي من تناثر المقاصد، والدعوة إلى الحسن والخير والحق والكمال...

حصرت رسائل النور مقاصدها في التوحيد والنبوة (الرسالة) والحشر إضافة إلى العدل مع العبادة، فبيّن في ثنايا الحديث عنها أساليب عرضها، وأهميتها في العبادة.

وقد بيّنت جميع المقاصد الرئيسة (التوحيد والنبوة والحشر) أنّ العدالة أقسام عدّة، أولها محضة وإضافية، وأخرى سلبية وإيجابية، وثالثة عدالة منظورة وعدالة مسطورة، وهي بتفاصيلها إضافة إلى ما سلف، حجة على إثبات وتثبيت تلك المقاصد.

تمثّل المقاصد الرئيسة الآنفة الذكر يفرض ترتيب الأولويات، بمعنى وضع مقاصد مرحلية مندمجة مع الأصلية المشار إليها أعلاه، من هنا كان للأستاذ مقاصد في الزمان، يمكن تلخيصها في الأمن والنظام والحرية والعدالة، وحصول صحوة إسلامية، وإنقاذ الإيمان والاعتصام بالقرآن، ولهذا المقصد أهداف كثيرة، منها، المصالحة بين المدرستين الدينية والحديثة، رسم أقصر طرق الفعالية، نشر قيم الخير وصد الشر، التأسيس للتواصل الإسلامي والإنساني، تحقيق الاتحاد والأخوة والطاعة والمحبّة وإعلاء كلمة الله. في طريق الشكر والعبادة، والشفقة والمحبّة. وإعطاء الحياة معنى، بإنقاذ الإنسان والاستجابة لحاجاته، لتجاوز الهلاك.وتليين القلوب، والقيام بوظيفة الخدمة، وخدمة الإيمان.

وانتهينا بعد ذلك العرض إلى تأكيد أبعاد أهمية بحث المقاصد، فهي إضافة على أهميتها الإيمانية، لها أهمية نفسية واجتماعية وفكرية ومنهجية.

المصادر

- بديع الزمان سعيد النورسي، الكلمات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي؛ سوزلر للنشر ١٩٩٢ /استانبول.
- بديع الزمان سعيد النورسي، المكتوبات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي؛ سوزلر للنشر ١٩٩٢ /استانبول.
- بديع الزمان سعيد النورسي، اللمعات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي؛ سوزلر للنشر ١٩٩٣ /استانبول.
- بديع الزمان سعيد النورسي، الشعاعات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي؛ سوزلر للنشر ١٩٩٣ /استانبول.
- بديع الزمان سعيد النورسي، اشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، تحقيق إحسان قاسم الصالحي؛ سوزلر للنشر ١٩٩٩ /استانبول.
- بديع الزمان سعيد النورسي، المثنوي العربي النوري، تحقيق إحسان قاسم الصالحي؛ سوزلر للنشر ١٩٩٤ /استانبول.
- بديع الزمان سعيد النورسي، الملاحق، ترجمة إحسان قاسم الصالحي؛ سوزلر للنشر ١٩٩٥ /استانبول.
- بديع الزمان سعيد النورسي، صيقل الإسلام، تحقيق واعداد إحسان قاسم الصالحي؛ سوزلر للنشر ١٩٩٥ /استانبول.
- بديع الزمان سعيد النورسي، سيرة ذاتية، إعداد وترجمة إحسان قاسم الصالحي؛ سوزلر للنشر ١٩٩ /استانبول.

obeikandi.com

- أبي إسحاق الشاطبي، الموافقات، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- إسماعيل بن حمّاد الجوهري، الصّحاح، تاج اللغة العربية، وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطّار/دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م
- أ.د. عمار جيدل، بديع الزمان النورسي وإثبات الحقائق الإيمانية (المنهج والتطبيق)، شركة نسل للطبع والنشر والتوزيع، استنبول/تركيا.
- أ.د. عمار جيدل، ماهية الإنسان وصلتها بحريته ووظيفته الاجتماعية، شركة نسل للطبع والنشر والتوزيع، استنبول/تركيا، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م

obeikandl.com